

## حكم المفكرين الغربيين

علي « محمد »

للاستاذ عبد المنعم ماجد

—

لاح محمد كنجم شارق في دياجى المصور الوسطى فاخطأ تاريخاً جديداً لهالم جديد ودين جديد ، بعمل على فك قيود العقل من عبودية التقاليد والوهم ومن التمسب الدينى والجنسى . على أن شمس الفكر وإن كانت قد سطعت في أحضان الشرق فقد ظلت محجوبة بمملكة هذه المصور في الغرب فلم يستطع مفكرو المصور الوسطى في أوروبا أن يخرجوا من هذا النطاق المضطرب بنزوات التمسب الدينى ليلتمسوا نور الحقائق المجردة عن الهوى ولينطلقوا بالأفكار حرة غير مقيدة ، ولذا لم يكن مستغرباً أن يلاقى محمد الطمن السافر في ذلك الزمن ، والى ارتفع صوت واحد بعيداً عن التشوش والتمسب ، فطن في شخصيته وأتهم بالتلفيق والشعوذة ، واستهجن رسالته ووصمت بالكفر والانتحال . فترى دانتي كأحد المفكرين البارزين الذين هيا لهم القدر أن تكون حركة النقلة إلى عصر النهضة على أيديهم يقسو في حكمه على محمد فيضمه في الطبقة الثامنة في الجحيم مع المشعوذين الذين كتب عليهم الخلود أبداً في نار جهنم ، وجريمته في رأيه أنه مدع

أحق باهتمامهم : البحيرات والأشجار والأنهار والحدائق والبحار والسفين في الماء والنجوم في السماء . وإنى لأشاركها هذا الرأي فإننا نملك ساعة من العمر لنحياها ، فلما ذا نغضينا في البحث عن أشياء كثيرة لا يضيرنا أن نجعلها مادنا لا نعرف عنها كل شيء . إننا نعيش كثيراً في عالم الكتب وقليلاً في عالم الطبيعة ، ونحن في ذلك أشبه بذلك الكاتب الذى ظل يدرس كاتباً يونانياً قديماً بينما كان بركان قيزوف يقذف النار ويحرق خمس مدن حاصرات

برلسي سلام

( المرطوم سردان )

دعا إلى تخليص العقيدة من كل شرك - ولم تكن المسيحية آنذاك يمكن أن تصوره بأية حال . والواقع أن رأى دانتي في محمد مبر عن خلال العصر الذى عاش فيه - فهو نفسه أى دانتي عاش في أواخر المصور الوسطى حيث كانت روح التمسب ما زالت تسود العقول ، وحتى الآن ما زال محمد خصماً في نظر بعض الأوساط الأوربية المفكرة ينظر إليه على أنه النبي السكاذب الذى ادعى بهتاناً أنه نبي الله .

أما في القرن الثامن عشر ، وهو الذى أطلق عليه الباحثون القرن المضى - فقد كان عصر تطور فكري واجتماعي عميق فبدأ فلاسفة هذا القرن ينظرون بنية خالصة إلى أصحاب الحركات الدينية الغير مسيحية ، ويقدرون خلاصهم الطيبة محاولين جادين أن يهددوا نمر التمسب التي كانت تشل حرية التفكير فضلاً عن أنهم لم يجتدوا بأساً في تلس الحقائق التي لا ضرر في الكشف عنها على سلامة المسيحية ، وكانت هذه المرونة في التفكير مفيدة للإسلام فرأينا من يكتب عن محمد ورسالة محمد بزاهة وإنصاف وإن وجدنا في نفس هذا القرن المضى أولى العلات وأصحاب المآرب الذين لم يتورعوا عن قرع الحقيقة والطنن بقسوة على نبي الاسلام بطريقة اعتبرها بعض المفكرين الغربيين أنفسهم خطيرة على سيادة العقل وحرية الفكر . فسالى وبولينشي وسافارى أمثلة لبعض الباحث الذين عملوا على إظهار بعض الحقائق في أثناء دراساتهم لشخصية الرسول . فالأول يترجم القرآن في سنة ١٧٣٤ ، ويبرز لنا محمداً كرجل مثالى ظهر في الإنسانية العليا . وقبله بولينشي يؤلف كتاباً عن محمد يحاول فيه أن يبرهن بقوة على أفضلية الدين الاسلامى على غيره من الأديان ، ويبرز لنا شخصيته كشرع حنيف مستنير جاء بدين صحيح جملة هداية للعالمين ليحل محل المسيحية واليهودية وهما اللياتان اللتان كانتا قد تقوضت مبادئهما وملائهما الريبة . أما سارى فيترجم القرآن في سنة ١٧٨٢ ، ويضع محمداً بين الرجال القلائل الذين ظهروا على سطح الأرض وتفتحهم الطبيعة قدرة خارقة ليغيروا أحوال الناس والمصر وليقودهم إلى النماء والرشاء . فسيرة محمد في رأيه تذهل الباحث وتدفعه إلى الإيمان بكامل العقيدة التي توصل إليها

والتي ساعدته الظروف فيها . في أثناء رحلاته شاهد ببصرة بقظة انقسام المسيحية وبمعرفة اليهودية ؛ فأراد أن يكون دينه للجميع ، وأن يكون فيه يسر وانسجام مع الفطرة والعقل . وبالرغم من أنه ولد وثيقاً فقد دعا إلى تخلص العقيدة من كل شك ، وتجريد الله من كل مادة . وعبادة إله واحد له الأمر من قبل ومن بعد . ولكي يستميل إليه القلوب ويقنع الناس بصحة مبادئه ويضمن لها التأيد ، أحاط نفسه بالحماية الإلهية ، وادعى أنه رسول الله . فعلى المفكرين المستنيرين أن ينصفوا محمداً لا كرسول بل كأحد هؤلاء الرجال النوادير الذين أروا في الحياة تأثيراً ظاهراً لا زال باقياً حتى الآن .

هذا الحكم الرقيق على محمد المقدر لمبقرته قوبل بتيار آخر عنيف ساد بين بعض المفكرين في نفس هذا القرن المضي . ووصل إلى حد التشويه والمثالب . فترى فولتير يتعصب على محمد في مأساته التي نشرها في سنة ١٧٤٢ ؛ في المقدمة بهاجم مباشرة آراء سالي وبولينشي وهما اللذان ذاقا عنه ، وعلى أية حال فإن حكم فولتير القاسي على الرسول خففه في مقاله التي كتبها عن الأخلاق L'essai sur Les Moeurs فأعترف فيها ببعض مواهبه وإن رأى أنه لم يأت بشيء جديد سوى ادعائه النبوة . وقد راج رأى فولتير وقتاً فترى ديديرو يستفيض في طعنه على محمد بينما نرى كارلايل في محاضراته عن الأبطال في ٨ مارس سنة ١٨٤٠ يحمل على الذين يشتمون على نبي الإسلام فيرمونه بالكذب والزلاتحال ، ويرى أن مثل هذا التفكير البعيد جداً عن جادة الصواب خطر على سيادة العقل بل تخجل المسيحيين أنفسهم . — فهناك مائة وثمانون مليوناً من الأنفس يدينون بالإسلام ويؤمنون بمحمد كرسول من عند الله ، ويتخذون سفته مرشداً لهم في الحياة — ويتساءل قائلنا : هل من المقول أن هؤلاء جميعاً ينساقون وراء مشعوذ دجال ؟ وهل بلغت الشموذة من القوة والسيطرة ما يجعل لها هذا السلطان على هذه العقول ؟ الواقع أن هذا التخبط راجع إلى اضطراب العصر — ثم — هو يرى أن محمداً كان مخلصاً بحق لدعوة فقد نظر إلى العالم نظرة كلها حياة ففتى في حب الإله ، وربط ما بين الأبدية وما بين حالنا . فلم كان

محمد نبياً أو شاعراً فهو في كلتا الحالتين رجل غير عادي .

هذه اللفتة الطيبة في معالجة شخصية محمد وتلك الروية والرغبة في الوصول إلى حقائق مجردة عن التعصب ازدهرت في عصرنا الحاضر فاعتبره الكثيرون في مقدمة المصلحين الذين بذروا بذرة صالحة في حقل الحضارة والمدنية ، ولكنهم أي هؤلاء العلماء اختلفوا في الحكم عليه بل لم يستطع بعضهم الوصول إلى رأى ثابت . ولعل أوضح هؤلاء المستشرقين الذين دافعوا عن محمد واهتموا بدراسة سيرته تور أندراي Tor Andrae الألماني الذي يعتقد في نبوة محمد ويستفيض بحماس في تقدير رسالته التي تعتمد في أصولها على البساطة والفطرة ، وهو يتساءل في آخر كتابه عن محمد قائلاً : هل يمكننا مع هذا أن نتوصل بحسن إلى تفهم شخصية محمد على وجهها الصحيح ...

الواقع أن علماء الغرب مازالوا متحيزين في حكمهم النهائي على محمد

عبد النعم ماجر

عضو هيئة التاريخ الاسلامي بجامعة فؤاد

ظهر حديثاً كتاب :

## حكايات من الصين

كتبها بالانجليزية كاتب صيني

وهيها

عبد حسن الزيات المحامي

تطلب من المكتبات ، ومن مكتب العرب بشارع

إبراهيم باشا رقم ١٠ بالقاهرة

ثمان النسخة عشرة قروش تضاف إليها أجرة البريد

وتعرب أيضاً :

محمد زغلول من أفضيته ( تأليف )

من يوميات محام ( تأليف )

حكايات من الهند ( ترجمته )